مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية
العدد الأول – المجلد الأول
مارس 2017
ISSN: 2518-5780

المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث
Arab Journal of Sciences & Research Publishing
AJSRP

دور المستخدم في تطور المعجم

سامي بن محمد غالب عطرجي

قسم اللغة الانجليزية – جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية

الملخص: إن المعاجم من أبرز المؤلفات المكتوبة التي نشأت وازدهرت لتشكل سجلا للغة زمانها. ورواد تأليف المعاجم العربية كانوا غير مسبوقين إلى وضع المعاجم الكاملة المستوعبة للغة الحية وعلومها وفنونها. أحد أهم هؤلاء الرواد بل وأولهم تاريخياً الخليل ابن أحمد الفراهيدي الذي قد أبدع في كتابه العين في انتهاجه تسلسلا لفظياً صوتياً لحروف اللغة العربية (مخارج الحروف) في تصنيفه وترتيبه للكلمات. من أسس ومعطيات بنية المعاجم الشكل الظاهر للمعجم والمستفيدين من ذلك المعجم وهم قراؤه أو بلغة العصر مستخدميه، والذين من أجلهم ألفت وكتبت وجمعت جميع المعاجم. لقد تطورت 'صناعة المعاجم' لدى الدول المتقدمة لتكون علماً واسعاً ذو جوانب عديدة، وأصبح له نظرياتٌ تتناول أسس صناعته هذه، وأصبحت الدراسات المعجمية تحتلّ حيّزاً كبيراً من الدراسات اللغوية الحديثة. وأصبح دَوْر المستخدم للمعجم يشكل أحد أهم الضوابط الحِرَفيّة قبل وبعد إنتاج المعجم إضافة إلى تحديد أهداف المعجم من قبل أصحاب التخصص، وإلى الرؤى التجارية التي تحددها دور النشر وفق لدراسات اقتصادية، مما أدى إلى الوصول إلى حتمية مواكبة تنمية اللغة العربية لنتاج التطور العلمي والتقني المتسارع، وإلى حاجة اللغة العربية الماسة لزيادة الاستثمار في مجال تأليف ونشر وتطوير المعاجم وبكافة أنواعها وفقا للضوابط الحديثة.

الكلمات المفتاحية: اللغة، معجم، مستخدم، منظومة، صناعة معاجم، قاموس، لغويات.

Abstract: Dictionaries epitomize prominent semblance of the written literature that originated and flourished to form a record of the language of its time. The early pioneering authors of Arabic dictionaries were unprecedented in compiling entire dictionaries that absorbed a living language heritage of science and arts. One of the most remarkable of those pioneers and the first historically is Al-Khalil Ibn Ahmed Al-Faraaheedi who has devised through his linguistic insightfulness a phonetic illustration for the arrangement of content. Among the fundamentals of structuring a dictionary is the manifestation it reveals to the readers, or as they are technically identified as 'users'. Lexicography has matured in the developed countries to be a renowned discipline of many facets, with scientific principles that deal with the details of the industry. Lexical studies have occupied also a significant quantity of modern linguistic studies. The role of the user of the dictionary has become one of the most key lexicographic guidelines before and after the compilation of the dictionary in addition to the settings of commercial objectives that are determined by the publishing houses according to economic studies. As a result, it was inevitable for the Arabic language counterparts to pursue the expeditious scientific and technological developments, and to increase investment in the field of authoring and publishing all types of dictionaries in accordance with modern demands.

Keywords: language, dictionary, user, classification, lexicography, linguistics.

1. مقدمة:

من سمات لغات الحضارات الكبرى أن تتسع تلك اللغات لتتكيف وتتطور وفق معايير تطور واتساع حضاراتها. واللغة العربية هي إحدى أهم هذه اللغات، فهي التي شرفها الله عز وجل بنزول القرءان الكريم على لسانها وبحمل آخر رسالاته إلى جميع البشر لتكون الرسالة الواضحة الدقيقة التي لا يتطرق إلى مدلولها الشك ولا يعتري معناها الوهم ولكي تفهم في جميع الأزمنة ولتستوعب المتغيرات مع مرور الزمن وتقدم الحضارة الإنسانية.

وعند تدقيق النظر في سجل هذه اللغة المُشَرَّفَة الحافل والذاخر بالمؤلفات المكتوبة والمنطوقة وفي كافة أرجاء العلوم والفنون وعبر التاريخ يُعلم حقيقة تكيفها وتطورها. وإذا علم أن المعاجم من أبرز تلك المؤلفات المكتوبة التي نشأت وازدهرت لتشكل سجلا للغة زمانها كان إدراك الحقيقة أكثر وضوحا. فالمتأمل لتراث 'لغتنا الجميلة' سوف يدرك أن الحاضر مرآة الماضي وأن التراث موروث بواقع الحال. ومثال ذلك ما كتبه أحد أبرز أدباء العصر 'العبقري' عباس محمود العقاد في تقديمه لمقدمة الصحاح: "ونحن معاشر المتكلمين بالعربية في عصرنا نسير على نهج الأقدمين في خدمتها كلما حرصنا على قواعدها وحرصنا إلى جانب القواعد على مرونتها وعلى مزيتها الكبرى من قبول التجديد والموافقة لمطالب بني الإنسان في جميع العهود .." (عطار: 8، 1984م).

2. موضوع البحث:

إن رواد تأليف المعاجم العربية كانوا غير مسبوقين إلى وضع المعاجم الكاملة المستوعبة للغة الحية وعلومها وفنونها كما يسجل ذلك بعض المهتمين العرب بعلم 'صناعة'[1] المعاجم (عطار: 8، 1984م). كما يشاطرهم في ذلك الرأي غير العرب ممن كتبوا عن المعاجم العربية، فخذ على سبيل المثال ما أثنى به جي هيوود على رواد صناعة المعاجم العرب في كتابه المتخصص بقوله: "الحقيقة أن العرب في مجال المعجم يحتلون مكان المركز سواء في الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم والحديث وبالنسبة للشرق والغرب." (Haywood: 6, 1960). وعلى الرغم من ما جاء في كتابات البعض بأن مؤلفي المعاجم العربية الأوائل قد سبقهم إلى صناعة المعاجم كل من الإغريق أو الآشوريين أو الهنود أو حتى الصينيين[2]، فإن أغلبية هؤلاء فيما لو وصلت أعمالهم إلى العرب قد نكتشف أنها إما كانت عن لغات منقرضة أو لتسجيل رموز لغوية جديدة للغة زمانهم وعلى هيئة قوائم أو لفك طلامس عقدية قديمة أو لتسهيل التعامل مع لغة صورية وليست حرفية.

وللتعرف على الدور الريادي للعلماء العرب السابقين بتأليف المعاجم وإنجازاتهم، يكتفى بذكر أحد أهمهم بل أولهم تاريخياً. ذلك هو الخليل ابن أحمد الفراهيدي الذي قد أبدع في كتابه العين (الموجود حاليا أجزاءً كبيرة منه بألمانيا والعراق) على المستوى اللغوي أولاً في انتهاجه تسلسلا لفظياً صوتياً لحروف اللغة العربية (مخارج الحروف) في تصنيفه وترتيبه للكلمات والذي يبدأ بما يوصف كـ 'أعمق صوت: العين (ع)' وينتهي بـ 'أظهر صوت الباء (ب)'، مما حدا ببعض لغويّ الغرب بالاعتراف بذلك الإبداع (كريستال Crystal: 406, 1995) الذي لم يسبقه إليه أحد، فلم يتفق اللغويون الأوروبيون على منظومة للتسلسل الصوتي للغة المنطوقة إلا في أواخر القرن التاسع عشر[3] عندما بدأت حركة التصحيح لهجاء مفردات اللغة الإنجليزية. أما على المستوى التطبيقي في عرضه لمواد معجمه فقد أقدم الخليل ابن أحمد إلى تقديم منظومة التقليبات الحرفية للكلمات والتي تُجمع على إثرها جميع التكوينات المقبولة لغة للكلمات ذات الأحرف نفسها بمكان واحد، إلا أن اجتهاده قد انصب على حصر اللغة العربية وقتذاك، وهي الغاية التي لم تكتمل وفق بعض المصادر العلمية (عطرجي: 19-33، 1995م). كما يعرف عن الخليل ابن أحمد أيضاً أنه كان أول من نقط الحروف في فن الكتابة، وكذلك يعرف عنه ابتكار علم نغمي جديد في الشعر يدعى علم 'العروض'.

---

[1] يقصد بصناعة هنا العلم المتخصص في حرفة تجميع وتأليف المعاجم أي: Lexicography بالإنجليزية.

[2] ذكر ذلك العديد من الكتاب والمعنيين بعلوم المعاجم واللغويات والتاريخ منهم: أحمد مختار عمر بـــ: *موسوعة المفاهيم على الشبكة*، ورشيد بلحبيب بـــ: *مجلة البيان*.

[3] موقع ويكيبيديا. تاريخ الألفبائية الصوتية العالمية. 2017م. 21 فبراير 2017م
https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_the_International_Phonetic_Alphabet

وقد تبع الخليل في منهجه المعجمي الكثير من اللاحقين. كما أقدم بعضهم على تطوير أمثلة ومنظومات أخرى لترتيب الكلمات وتصنيفها بدء من مسألة الرجوع إلى جذر الكلمة الموصوفة، ثم الأخذ بالحرف الأول منها أم الأخير (أو ما يسمى بالقافية).

إلا أن الغاية من حصر اللغة ومفرداتها لازمت معظم مؤلفي المعاجم كغاية من تأليفها وتصنيفها. ومن تلك المعاجم العربية على سبيل المثال لا الحصر: ديوان الأدب للفارابي ، البارع للقالي ، تهذيب اللغة للأزهري ، جمهرة اللغة لابن دريد ، مجمل اللغة ومقاييس اللغة لابن فارس ، الصحاح للجوهري ، لسان العرب لابن منظور ، القاموس المحيط للفيروزأبادي ، تاج العروس للزبيدي ، أساس البلاغة للزمخشري ، محيط المحيط للبستاني، الخ.

3. غاية البحث:

إذا صرفت النظرة التفصيلية عن دقائق التسلسل التاريخي لمراحل تطور المعاجم العربية وعن مؤلفيها بل وحتى عن محتوياها، لم يتبقى من أسس ومعطيات بنية المعاجم بعلم صناعة المعاجم الحديث سوى أمران: أحدُهُما الشكل الظاهر للمعجم كطريقة كتابة خطّه أو نسخه، ثم تطور ذلك إلى طرق طباعته وصاحب ذلك دور نشر المعجم وتوزيعه. أما الأمر الثاني وهو بيت القصيد وغاية البحث: الاعتبارات التي لم يتبناها مؤلفي ومصنفي المعاجم من السابقين واللاحقين عن المستفيدين من تلك المعاجم وهم قراؤها أو بلغة العصر مستخدميها، والذين من أجلهم تؤلف وتكتب وتصنف المعاجم، فهم المعنيين أولاً ضمن أهداف إصدار المعاجم: فهي "تُصْدر المعاجم بشكل أساسي لمستخدميها ولتحقيق أهداف خاصة." (عطرجي: 249، 1995م).

وعليه، فما هو دور المستفيدين من المعاجم أو قراؤها؟ وما تأثير ذلك في نَظْمها وتأليفها وإخراجها على شكل أو مظهر معين؟ وهل بقي هذا الدور على وتيرته أم اختلف وتغير مع مرور الزمن؟

4. عرض وتحليل:

منذ البداية لم يكن سائداً في عصر الرواد الأوائل لصناعة المعاجم اهتمام كبير بمدى رضا القارئ العام أو 'العامي' للمعجم (عطرجي: 34، 1995م)، بل كان المعنيون بالمعجم هم فقط طبقة العلماء والمتخصصين في بحور اللغة وعلومها، كما كان الدافع وقتذاك لتأليف تلك المعاجم تقديم 'المخطوطة' الأشمل أو الأنفع التي لم يسبق لها نظير.

ثم تعدى ذلك الحال في أزمنة لاحقة ليشمل اهتمام مؤلفي المعاجم المثقفين المطلعين عن قرب بعلم صناعة المعاجم الحديث إلى إضافة رأي العلماء والمتخصصين الآخرين في اللغة لذلك النتاج العلمي.

وبعد قرون الريادة، شهد التأليف المعجمي (شأنه في ذلك شأن جميع العلوم في المنطقة العربية والإسلامية) تراجعا مخيبا ومذهلا، سواء أقورن ذلك بسالف العهود أو بما أنجزته الدول المتقدمة في كافة المجالات والعلوم، وفي مجال صناعة المعاجم بشكل خاص. فقد تطورت 'صناعة المعاجم' لدى الدول المتقدمة لتكون علماً واسعاً ذو جوانب عديدة، وأصبح له نظرياتٌ تتناول أسس صناعته هذه، وأصبحت الدراسات المعجمية تحتلّ حيّزاً كبيراً من الدراسات اللغوية الحديثة. ولم يقتصر هذا العلم الجديد على 'تجميع' المعاجم كما كان يغلب على الجهود السابقة ، بل أصبحت هذه الصناعة تخضع لقواعد وأسس دقيقة، وصارت توزن بمعايير ثابتة تدل على نضج هذا العلم. كما أغدا المستخدم أحد أهم تلك المعايير، ولرأيه وحاجته في النتاج النهائي، أي المعجم، قيمة جوهرية في تحديد مسلك المعجم وتقنين أهدافه.

لماذا يستخدم المعجم:

للنظر في دور المستخدم عند رواد صناعة المعاجم في العصر الحديث وفي اللغة الإنجليزية تحديداً، كان لزاماً التمعن فيما ابتدعته دور النشر الكبرى للمعاجم بالعالم مثل مطابع جامعة أوكسفورد Oxford University Press ولونقمان Longman وكولنز Collins بالمملكة المتحدة ومريام وبستر Merriam-Webster بالولايات المتحدة الأمريكية، وغيرهم لمستخدمي اللغة الإنجليزية.

إستطلاع رأي المستخدم:

ولاستقطاب أراء المستخدمين للمعجم، تقوم دور النشر أو المؤسسات المتخصصة باستطلاعات الرأي لصالحها بحصر وتقسيم المجتمع إلى شرائح محددة مثل مجالات العمر أو التعليم أو الحالة الاقتصادية أو الموقع الجغرافي، ثم تقنين الاهتمام والدراسة بالشريحة أو الشرائح التي يشكل ممثليها بالمجتمع النسبة الأكبر للمتوقع استخدامهم للمعجم المراد تأليفه ونشره، وأخيراً يركز البحث على الآراء المتواترة لهؤلاء 'المستخدمين الافتراضيين' للمعجم على أنها تمثل أغلبية من سيستخدمه بعد نشره.

المستخدم كضابط حرفي:

فدَوْر المستخدم للمعجم إذاً يشكل أحد أهم الضوابط الحِرَفيّة قبل وبعد إنتاج المعجم وذلك إضافة بالطبع إلى تحديد أهداف المعجم الأخرى وفقا للأراء العلمية من قبل متخصصي صناعة المعاجم، وكذلك الجدوى التجارية التي تحددها دور النشر وفق لدراسات اقتصادية متخصصة.

ولا يتوقف دور المستخدم للمعجم عند ذلك الحد لدى المعنيين بنشر المعاجم، بل يستمر بعد نشرها. إذ تقوم دور النشر بمراجعة أراء المستخدمين للمعاجم بعد نسختها الأولى، للقيام بإجراء التعديلات والتغييرات الضرورية في النُّسخِ اللاحقة، حتى يتم الوصول إلى إنتاج إصدار متوافق مع حاجات المستخدم وبخطوات دقيقة ومنهجية.

تقدير المستخدم للمعجم:

ولا شك من أن المستخدم للمعجم المتوافق مع احتياجاته مثل معظم المعاجم المتصلة بلغات الدول الرائدة في صناعة المعاجم كالإنجليزية والفرنسية والأسبانية والألمانية وغيرها يلتمس، بما لا يدع مجالا للشك، أثر تلك الدراسات والجهود والإجراءات الحثيثة المقننة في تطوير وتحسين المنتج النهائي للمعجم وأنها وجدت طريقها لتحقيق غاياته الشخصية والعامة لاستخدام المعجم.

دواعي الإستخدام للمعجم:

أدت زيادة الاهتمام بأنواع المعاجم المختلفة، وتعاظم دور المستخدم أو المستفيد من تلك المعاجم إلى ظهور حاجات استخدام ودواعي كثيرة ومتنوعة لمعاجم أحادية أو ثنائية أو متعددة اللغات. من أبرزها ما يلي:

1. الزيادة المضطردة إلى الترجمة بين اللغات وتيسر عمل المترجم وذلك بسبب تصاعد التفاعل بين أقطار العالم المختلفة لتطور وسائل الاتصال المتعددة بينها (كنتاج مباشر للتطور التقني) ولاختلاف مصادر ومنابع العلوم.
2. الحاجة إلى مرجعية لغوية موثقة للتدقيق المعنوي والنحوي والاشتقاقي لمفردات اللغة.
3. انتشار المصطلحات العلمية والعالمية بالتزامن مع الاكتشافات العلمية في شتى نواحي المعرفة" (الزعابي: 2004م).
4. الحاجة لمراصد لغوية متخصصة بمجالات مختبفة كالطب والهندسة والزراعة والصناعة والفلسفة، الخ.

5. الخلاصة:

وبناء على ما تقدم استعراضه، لعله من الممكن استخلاص النقاط التالية:

أولاً: صارت حاجة اللغة العربية في العصر الحديث إلى حتمية مواكبة منتج التطور العلمي والتقني المتسارع.

ثانياً: الحاجة الماسة لزيادة الاستثمار في مجال تأليف ونشر وتطوير مراجع اللغة ومعاجمها وبكافة أنواعها وغاياتها بغية تنمية اللغة العربية والرفع من كفاءة خدماتها.

ثالثاً: من الجلي للقاريء ضرورة التماس أراء ومتطلبات وحاجات مستخدمي المعاجم العربية للمساهمة في إتقان وضع وصياغة أهداف المعاجم بداية، ثم في وضع أسس تأليفها، وصولاً إلى تيسير مهمة استخدامها بما يتوافق مع أولويات وحاجات المستخدم.

وأخذاً بلغة التجارة بأن 'العميل دوماً على حق'، يتجسد لنا دور المستخدم للمعجم العربي في دور العميل أو 'الزبون' الذي يطلب من الصانع تقديم المنتج على هيئة يحددها مسبقاً ثم يقرر ما إذا رضي بصنعتها أم لا بعد إنتاجها، "فنحن في حاجة إلى معاجم نستعملها لا نزين بها رفوف مكتباتنا فحَسْب، وإذ نراعي هذه الفكرة نراعي تبعا لها مَنِ الذين يستعملون هذا المعجم الذي نضعه.." (نصّار: 770، 1968م).

قائمة المراجع والمصادر:

1. بلحبيب، رشيد. التراث اللغوي والتنمية. *مجلة البيان* (العدد 339). 1998م.
2. الزعابي، فيصل. *محاولة جادة وخطوة موفقة*. منتدى سحاب 2004.
http://www.sahab.net/sahab/showthread.php?threadid=309519. 14 يونيو 2006
3. عطار، أحمد عبد الغفور. *مقدمة الصحاح*. بيروت: دار العلم للملايين. 1984م.
4. عطرجي، سامي محمد غالب. دراسة لغوية لمحتوى وترتيب مدخلات المعاجم العربية الفصحى الأحادية اللغة. *رسالة دكتوراة (غير منشورة)*. جامعة بانجور بشمال ويلز. 1995م.
5. عمر، أحمد مختار. *موسوعة المفاهيم على الشبكة، حرف الميم: المعاجم العربية*. 2004م
http://www.alazhr.org/Mafaheem/Default.asp?Lang=a&Action=View&Doc=Doc1&n=303&StartFro m=292&Total=319. 26 مايو 2004م.
6. كريستال، ديفيد. *موسوعة كامبردج للغة*. كامبردج: دار النشر بجامعة كامبردج. 1995م. (ص 406).
7. نصار، حسين. *المعجم العربي*. القاهرة: دار مصر للطباعة. (مجلد 2). 1968م.
8. هيوود، جي أي. *المعاجم العربي: تاريخها ومكانها من تاريخ صناعة المعاجم*. ليدن، هولندا: بريل. 1960م.